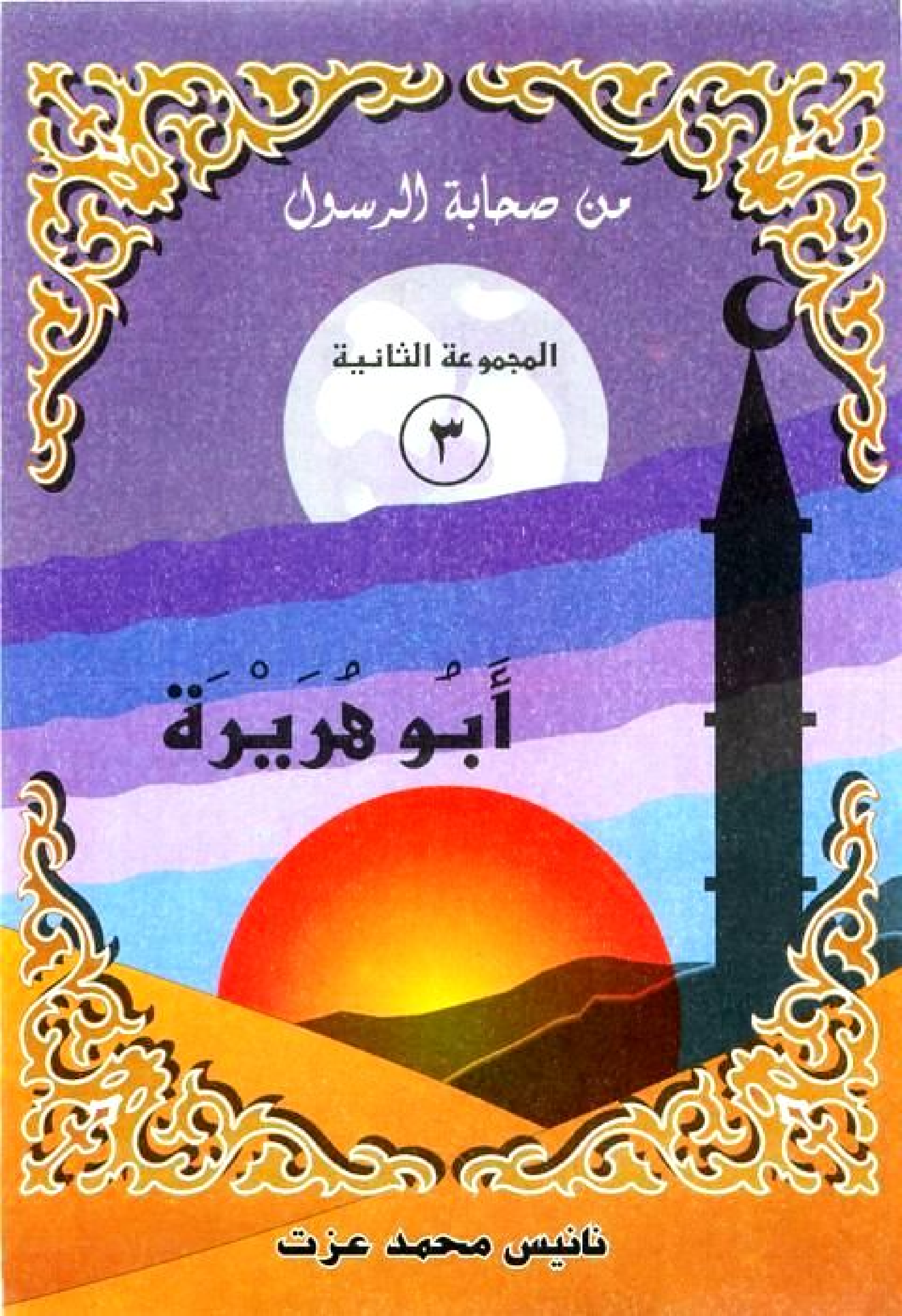

من صحابة الرسول
المجموعة الثانية
٣
أَبُو هُرَيْرَةَ
نانيس محمد عزت

أبـو هريرة

نزل سامِحٌ ليلعبَ مع أصدِقائهِ فى الحَديقَةِ الفَسيحَة ، الّتى قام أهـلُ الحـىِّ بإنشائِها وتَنسيقِها لتكـونَ مُتنزَّهًـا ومُتَنَفَّسًا لهـم ، بعـدَ أن كـانت أرضًـا فضـاءً اسـتعْمَلَها بَعضُهُم مَقلبًا لِلقُمامَة ، فكانتْ مَصدرًا لِلأوبئَةِ وانْتِشـار الأَمراض بَينَهم .

فعندَمـا وصـلَ إلى الحَديقَـة ، وجـدَ أصدقـاءَهُ مُلتفّـينَ حـول عُصفـورٍ صَغير ، رَبطـوا رِجلَـه بخَيـطٍ طَويـل ، وأطلَقوهُ ليَطير . فما أن شـعرَ العُصفـورُ بالحُرّيَـة ، وهـمَّ بأن يَطيرَ ويَرجِعَ إلى أُمِّهِ فى عُشّها ، حتّى سارعَ الأولادُ وجذَبوا الخَيط ، فسـقطَ العُصفـورُ علـى الأرض ثانِيـةً ، وضَحِكَ الأَولادُ مَسـرورين ، وراحـوا يُكـرِّرونَ اللُّعبَـة

المرّةَ بعد المرّة .

غضِبَ حُسامٌ من تصرُّفِ أصدقائه ، فخطفَ العصفورَ من أيديهِم وأطلقَ سَراحَه . وقالَ لهم مُوبِّخا :

ــ ما هذا العَبَث ؟ كيفَ سَمحتْ لكُم أنفُسُكم أن تُعذّبوا هذا الطّائرَ الضّعيف ، الّذى لا يَستطيعُ أن يُدافِعَ عن نَفسِه ، وله روحٌ ويُحِسُّ ويَتألّم ؟ ألم تَعلموا أنّ اللّهَ سُبحانَه وتَعالَى قد أوصانا بالرِّفقِ بالحَيَوان ، وأن نُحسِنَ مُعامَلَته ؟

راحَ الأولادُ يَنظرونَ بَعضُهم إلى بَعْضٍ فى خِزيٍ وخَجَل ، وقد أحَسّوا بفَظاعَةِ الجُرمِ الّذى ارتكَبوه .

واستمرَّ حُسامٌ فى حَديثِه فقال : ألم نَدرُس فى المَدرَسة ، قِصَّةَ الرَّجلِ الّذِى رأَى كَلبًا يَلهَثُ من شِدَّةِ العَطَش ، فنزلَ فى البئر وأحضَرَ ماءً وسَقاه ، فغفَرَ اللّهُ له ؟ وألا تَذكُرونَ حَديثَ الرَّسول ــ صلّى اللّهُ عليهِ

وسلّم ـ الّذى يَقول : إنّ امْرأةً دَخلَتِ النّارَ فى هِرَّةٍ حَبسَتْها ، فلا هىَ أطْعَمَتْها ، ولا هى تركَتْها تأكلُ من خَشاشِ الأَرض ؟

فأحنَى الأَولادُ رءوسَهُم فى خَجل ، وقالَ أحمد : كُنّا نَنتظِرُ حُضورَك يا حُسام ، عِندما سقَطَ هذا العُصفورُ من عُشّه ، فأرَدْنا أن نَتَسلّى به بَعضَ الوَقت ، وقد عَرفْنا الآنَ خَطأَنا ولنْ نَفعلَ ذلك مرّةً أُخرَى .

وقالَ ياسِر : نعم ، وقد كانَ تصرُّفُنا مُشينًا غيرَ لائق ، ونرجو أن يَغفِرَ اللّهُ لنا ، ويُسامِحَنا على تَعذيبِنا هذا الكائِنَ الضّعيف .

قالَ سامِح : كلُّنا نَعرفُ أبا هُرَيرَة ، أشهرَ من رَوَى الحَديثَ عن رَسولِ اللّهِ ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ ولكنْ هل تَعرِفونَ لِماذا سُمِّىَ بهَذا الاسْم ؟

قالَ أحمَد : وهلْ تَعرفُ أنت يا سامح ؟ قُل لَنا لماذا .

قالَ سامِح : كـان لأبى هُرَيـرَةَ قِطَّةٌ صَغيرَةٌ يَرعاها ويَعطِفُ عليها ويُطعِمُها بنفسِه ، وكانت لا تُفارِقُه أبَدا ، فأطلقَ عليه النّاسُ « أبا هُرَيرَة » . وكانَ الرَّسولُ ـ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم ـ يُناديه بأبى هُرَيرَةَ تَحبُّبًا وتَقرُّبا ، ولذلك كانَ أبو هُرَيرَةَ يُؤثِرُ هذا اللقَبَ ويُفضِّلُه ، حتّى اشتُهِرَ بهِ وأصبحَ النّاسُ جميعًا يُنادونَه « أبا هُرَيرَة » .

ومنذُ أن أسلمَ لازمَ أبو هُريرَةَ الرَّسولَ ـ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم ـ ولم يُفارِقْه إلاّ فى أثناءِ نَومِه ، فقد كانَ عازِبًا لم يَتزوَّجْ بَعد ، فلَزِم المَسجدَ وتَبِعَ الرَّسولَ حتّى حَفِظَ عنهُ الكَثير ، وأصبحَ بعدَ أربَعِ سَنَواتٍ فَقط ـ هى السَّنَواتُ الّتى عاصَرَ فيها الرَّسولَ إلى أن انتقلَ الرَّسولُ إلى جِوارِ رَبِّه ـ أكثرَ الصَّحابَةِ حِفظًا للحَديث ، وأعلَمَهم به . وتَساءَل بعضُ الصَّحابَة : كيفَ تكونُ

أحفَظَنا لِلحَديثِ يا أبا هُرَيرَة ، وقد سَبقناكَ للإسْلام ، وصاحَبْنا الرَّسولَ مُدَّةً أطوَلَ مِمّا صاحَبْته .

فردَّ عليهِم بقولِه : إنَّ أصْحابى منَ المُهاجرينَ كانت تَشغَلُهُم صَفَقاتُهم بالسّوق ، وإنَّ أصْحابى منَ الأنْصارِ كانت تَشغلُهُم أرضُهم ، وإنّى كنتُ امرأً مِسكينًا أُكثِر من مُجالَسةِ الرَّسول ـ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم ـ فأحضُرُ إذا غابوا ، وأحفَظُ إذا نَسَوْا .

ولم يَنْسَ أبو هُريرَةَ بطَبيعَةِ الحال ، فضلَ الرَّسولِ عَليه ، ودُعاءَهُ له بالعِلم . ويَحكى أبو هُرَيرَةَ أنّه كانَ بالمَسجدِ ذات يَومٍ يَدعو هو وبَعضُ رِفاقِه ، ودخلَ عليهِمُ الرَّسولُ ـ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم ـ وأمَّنَ على دُعائِهم . وأضافَ أبو هُرَيرَةَ على دُعاءِ رِفاقِه : « وأَسألُكَ عِلمًا لا يُنْسَى » ، فأمَّنَ عليه ـ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم . وعِندَما أرادَ الرِّفاقُ أن يَبلُغوا نفسَ المَرتَبةِ

وَينالوا نفسَ الشَّرف ، قالَ لهم : (سَبقَكُم بِهـا الغُـلامُ الدَّوْسىّ) .

عِندَئذٍ قالَ أحمدَ : وأنا يا رَبّى أسأَلُك عِلمًا لا يَنسى ، حَتّى لا أضيعَ فى الامْتِحان .

فضَحكَ الجَميع . وأكملَ سامحٌ القِصَّةَ فقال :

ــ كانت لأبى هُرَيرَةَ أُمٌّ مُشرِكَة ، وكانَ يَخافُ عليها عاقِبَةَ شِركِها ، فكَان دائِمًا يَدعوهـا لتُؤمِـنَ باللّـهِ ورَسولِه ، ولكنَّها كانت تُصِرُّ على شِركِها . وذاتَ يَـومٍ كانَ يَدعوهـا لِلإسْلامِ فـردَّت عَليـه ردًّا فيـه مَهانَـةٌ لـه ولرَسولِ اللّهِ ــ صلّى اللّـهُ عَليـهِ وسَلَّم ــ مِمّا أحزَنَـه وأَبكاه . وذهبَ إلى الرَّسـولِ وهـو يبكـى ، فسـأَلَهُ الرَّسولُ عمّا يُبكيهِ فقصَّ عليه أمرَ أُمِّه ، وسـأَلَه الدُّعـاءَ لها أن يَهدِيَها اللّهُ إلى الإسْلام .

وعِندما وصلَ أبو هُرَيـرَةَ إلى دارِه ، فوجِـئَ بأُمِّـه

تَغتَسِل وتَتطهَّر ، وتَنطقُ بالشَّهادَتينِ وتُبشِّرُهُ بإسْلامِها .

وكادَ أبو هُرَيرَةَ يَطيرُ من الفَرح ، وذهبَ ليُبشِّرَ الرَّسولَ ــ صلَّى اللَّهُ عَليهِ وسَلَّم ــ باسْتِجابَةِ اللَّهِ لدَعوَتِه ، وإسْلامِ أمِّه . فدَعا الرَّسولُ لأبى هُرَيرَةَ وأُمِّه ، فقال :

ــ اللَّهُمَّ حَبِّب عُبَيدَكَ هذا وأُمَّه ، إلى كُلِّ مُؤمِنٍ ومُؤمِنَة .

قالَ ياسر : إنَّ أبا هُريرَةَ مَحظوظٌ فِعلاً ، فقدْ نالَ أفْضَل دُعاءٍ من رَسولِ اللَّه .

قالَ أحمد : صَدقت ، فليسَ أفْضَلَ من أن تَكونَ مَحبوبًا من الجَميع .

قالَ سامِح : إنَّكما تَنظُران إلى الجائِزَةِ الَّتى حَصَل عَليها ، ولم تسألا عن الطَّريقِ الَّتى سَلكَها ليَصلَ إلَى تِلك المَرتَبَة ، وتلكَ الجائِزَة .

قالَ أحمد : وماذا فعلَ غيرَ حِفظِه الحَديثَ وروايَته ؟

قالَ سامِح : لقد عانَى أبـو هُرَيـرَةَ الكَثيرَ فـى طلـبِ العِلم ، فقد لازمَ الرَّسولَ ـ صلَّى اللَّـهُ عَليـهِ وسَـلَّم ـ ليتعَلَّم مِنه ، مّما جَعلَه يُعانى من الفَقرِ والجوع ، حتى إنـه كان يَتلَوَّى على الأرضِ من شِدَّةِ جوعِـه ، فكـان يَربِـطُ على بَطنِه حَجرًا ليُسكِتَ جوعَه .

وأرادَ أبو هُريرَةَ ذاتَ يَومٍ أن يَستَضيفَهُ أحدُ الصَّحابةِ ليُطعِمَه ، فسـألَ أبـا بَكـرٍ عـن آيـةٍ مـن القـرآن ، علـى الرَّغم من أنَّه كـانَ يَعلَمُهـا ، عسَـى أن يَدعُـوَهُ إلى دارِه ويُطعِمَه ، وكرَّرَ نَفسَ الشَّىءِ مـع عُمـرَ بـنِ الخَطّاب ، فـردَّ هـو الآخَـرُ علـى سُؤالِهِ ولَم يَدْعُـه ، إلى أن مـرَّ بـه الرَّسولُ ـ صلَّى اللَّهُ عَليهِ وسَلَّم ـ وشعرَ بما يُعانيـهِ مـن جوعٍ فدَعاهُ لدارِه . وكان فى الدّارِ إناءٌ به بَعضُ اللَّبن ، أهْداهُ بعضُ الصَّحابَةِ إلَـى الرَّسـولِ ـ صلَّـى اللَّـهُ عَليـهِ

وسَلَّم ـ فقالَ الرَّسولُ لأبـى هُرَيْـرَة : ادعُ أهـلَ الصُّفَّـة ـ مَقْعَدٍ مُظَلَّلٍ بالَمسجِلِ وهـمْ أضْيـافُ الإسْلامِ لم يَـأووا إلى أهْلٍ ولا مال ـــ وسـاوَرَ أبـا هُريـرَةَ القَلـق . فكيـفَ يَكفى هذا اللَّبَنُ الجَميع ، وهو نَفسُـهُ جـائِع ، ويُريـدُ أن يَتَقوَّتَ به ؟

وسقَى أبو هُرَيرَةَ أهلَ الصُّفَّةِ جَميعا حتَّى شَـبِعُوا ، ولم يَبقَ غيرُهُ وغَيرُ الرَّسـولِ ـــ صلَّـى اللَّـهُ عَليـهِ وسَلَّم ـــ فطلَـبَ مِنـه الرَّسُـولُ أن يَشـرَب ، فَشَـرِبَ حتَّـى شَـبِعَ وارْتَوَى ، ثمَّ شَرِبَ الرَّسولُ ـ صلَّى اللَّهُ عَليهِ وسَلَّمَ ـــ الفَضْلَة .

قال ياسر : نعم ، كانَ ذَلِكَ ببَركَةِ الرَّسول ـــ صلَّـى اللَّهُ عَليهِ وسَلَّم ـ .

قال سَامِح : كانَ أبو هُرَيرَةَ بارًا بأُمِّه ، فكانَ سَببًا في إسْلامِها ، وكانَ يَقولُ لَها كلَّ صَبـاح : السَّـلامُ عَليـكِ

يا أُمّاهُ ورَحمةُ اللّه وبَرَكاتُـه ، رَحِمَك اللّـهُ كمـا ربَّيتِنـى صَغيرا .

فترُدُّ عَليه : ورَحِمكَ اللّه كما بَررْتَ بى كَبيرا .

وإذا عادَ إلى بَيتِه فعلَ مِثلَ ذلك .

وتزوَّجَ أبو هُريرَةَ بُسْرةَ بنتَ غَـزْوان ، بعـدَ أن كـانَ أجيرًا لها . وكانَت العِبـادَةُ لا تَنقَطِـعُ مـن دارِه ، فكـانَ يَصومُ النّهارَ ويقومُ ثلُثَ اللّيل . ثمَّ يوقِظُ زَوجَته فتقـومُ الثُلُثَ الثّانى ، ثم تُوقِظُ هى ابنتَها فتَقومُ ثُلُثَهُ الأخير .

وكانَ كثيرَ الإنْفاقِ فـى سَبيلِ اللّـه ، لا يَبخَـلُ علـى الفُقَراء بما عِندَه من مال . وذاتَ يَومٍ بَعثَ له مَروانُ بنُ الحَكَمِ مائَةَ دينارٍ ذَهَبا ـ وكانَ يُريدُ أن يَختَبِرَه ـ فلمّـا كان الغدُ أرْسَلَ إلَيـهِ يَطلُـبُ المائَـةَ دينـار ، وقـال : إنَّ خادمى أعْطاها لكَ خَطأً ، وأنا لم أُرِدْكَ بِها وإنّما أَردتُ بِها غَيرَك .

وأحرجَ أبو هُرَيرَة ، فقد أخْرَجَها كلَّها فى سَبيلِ اللّـهِ ولم يَبقَ مِنها دِرهَمٌ واحِد . فرَدَّ على مَروانَ بقَولِه :

ـ لقد تَصدَّقْتُ بِها كُلَّها ، فإذا خَرجَ عَطائى فَخُذْها مِنه .

قالَ ياسِر : إنَّهُ حقًّا أهلٌ لدُعاءِ الرَّسولِ له ، فقد جَمعَ بينَ الصَّبرِ على العِلم ، وتَحمُّلِ المَشاقِ فى سَبيلِهِ . وتحمَّلَ بِرَّ الوالِدَين ، والعَطفَ على الفُقَراء ، والإنْفاقَ فى سَبيلِ اللّه ، والعِبادَةَ الّتى لا تَنقَطِع .

قالَ سامِح : ليسَ ذلِكَ فَقط يا ياسِر ، ولكنّهُ كانَ كذلِكَ غَيورًا على الإسْلام ، يَحزنُ لانْشِغالِ النّاسِ عنِ العِبادَةِ بالدُّنيا وأحْوالِها . فذاتَ يَومٍ وهو بالسّوق ، هالَه انْشِغالُ النّاسِ بالدُّنيا ، وبالبَيع والشّراء ، فقالَ لَهم : ما أعجزَكم يا أهلَ المَدينَة ! فميراثُ رَسولِ اللّهِ ـ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلّم ـ يُقَسَّمُ وأنتُم هُنا . ألا تَذهَبونَ

وتَأخُذونَ نَصيبَكم ؟

قالوا : وأينَ هُو يا أبا هُرَيرَة ؟

قالَ : في المَسجِد .

فأسْرَعوا إلى المَسجد ، ثمَّ عادوا إلَيه يَتَساءَلون : لقد أتَيْنا المَسجِدَ يا أَبا هُرَيرَة ، فدَخلنا فلَم نَرَ شَيْئًا يُقَسَّم .

فسأَلهم : ألم تَجِدوا أحَدًا بالمَسجد ؟

قالوا : بَلى .. رَأيْنا قومًا يُصلّون ، وقَومًا يَقرءونَ القُرآن ، وقومًا يَتذاكَرونَ في الحَلالِ والحَرام .

فقال : وَيحَكُم ! ذلِكَ ميراثُ مُحمَّد ــ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم ــ .

ابتَسم أحمدُ وقال : لقد لَفتَ نَظرَهُم لانْشِغالِهم بالدُّنيا عنِ الآخِرَة ، بطَريقَةٍ مُهذَّبَةٍ لَبِقة ، وبدونِ أن يُسفِّهَهُم أو يُحرِجَهم .

قالَ ياسِر : ولا تَنْسَوا وَصفَه العِلمَ ، ومُدارَسَة

القُرآنِ والحَديثِ والفِقهَ ، بميراثِ الرَّسول . فالمَرءُ دائِمًا يَعتَنى ويَهتَمُّ بما يَرِثُه من مُقْتَنياتِ أحْبابه .

قالَ سامِح : ونعودُ لأَبى هُرَيـرَة ، ففـى العـامِ التّاسِـع والخَمسينَ مـنَ الهِجْـرَة ، مَـرِضَ واشـتَدَّ عَليـهِ المَـرَض ، وبينَمـا زُوّارُه يَدعـون لـه بالشِّـفاء ، نَجِـدُه يَدعـو رَبَّـه وَيقول : اللَّهُمَّ إنى أُحِبُّ لِقاءَك ، فأَحْبِب لِقائى .

وماتَ أبو هُريرَةَ عن ثَمانٍ وسَبعينَ سَـنَة ، ودُفِـنَ فـى البَقيعِ بالمَدينَةِ المُنوَّرَة .

سألَ أحمد : أتَعرِفُ يا سـامِحْ كـمْ حَديثًـا رَواهـا عَـن الرَّسول ـ صلّى اللّهُ عَليهِ وسَلَّم ـ ؟

قالَ سامِح : رَوَى أبو هُرَيرَةَ عنِ الرَّسـولِ مـا لا يَقِـلُّ عن أَلفٍ وسِتمائَةٍ وتِسعَةٍ منَ الأَحاديث .

قالَ أحمد : نَشكُركَ يـا سـامِحُ علـى قِصَّتِكَ الطَّريفَـةِ المُفيدة ، ونَشكُرُ العُصفورَ الَّـذى سـقَطَ مـن الشَّـجَرة ،

وكانَ سَببًا فى رِوايَتِها لَنا .

قالَ سامِح : والآن ، هَيا إلَى اللّعب .

قالَ ياسِر : لنَتّفِقْ أوّلاً قبلَ أن نلعَب ، أنْ يَقرأَ كلٌّ مِنّا قِصَّةً كلَّ يَوم ، ويَقُصّها على رِفاقِه قبلَ أن نَذهَب للّعبِ .

قالَ أحْمد : هَذِه فِكرَةٌ رائِعَة ، وأنا على استِعدادٍ لأنْ أكونَ الرّاوِيَ غَدًا إنْ شاءَ اللّه .